واقع الخطاب الديني واطروحات تجديده

أ.م.د.عبد السلام محمد السعدي أ.م.د. فلاح خلف كاظم الزهيري

المقدمة

اصبحت قضية تجديد الخطاب الديني من اهم القضايا المثارة اليوم على الساحة الدينية والفكرية والسياسية والاعلامية العربية اذ اثارت هذه القضية العديد من السجالات والمناقشات التي نتيجة الخلط بين مفهوم تجديد الخطاب الديني بما يتناسب وروح العصر من غير المساس بثوابته واصوله وبين بعض الدعاوى المغرضة التي استغلت دعوة تجديد الخطاب الديني لكي تبث بعض الافكار المشوشة التي تهدف لتغيير مضمون الدين ذاته لجهلها او للخلط بين مفهوم الخطاب الديني الدعوي الذي ينتجه البشر ومفهوم الخطاب الديني الالهي والذي لا يمكن المساس به على خلاف الخطاب البشري الذي يمكن ان تعتريه يد التجديد ، لقد كان ظهور مصطلح الخطاب الديني افرازا طبيعيا للاتجاه السائد في الساحة الفكرية والذي تمثل في تغيير المصطلحات القديمة واستبدالها بمصطلحات جديدة تواكب المتغيرات المتسارعة على كافة الاصعدة ، وبناءا على ذلك فقد ارتأينا ان نبحث في موضوع تجديد الخطاب الديني في المرحلة الحالية نظرا للحاجة الماسة الى خطاب ديني يعي الظروف والمتغيرات التي تمر بها المجتمعات الإنسانية ومنها مجتمعنا العربي والإسلامي ،ولذلك فقد قسمت الدراسة الى عدة محاور اذ سيبحث المحور الأول في مفهوم الخطاب الديني اما المحور الثاني فسيبحث في إشكالية تنوع الخصائص الدينية والثقافية لجمهور الخطاب في حين سيبحث المحور الثالث في ضرورات تجديد الخطاب الديني والمحور الرابع فسيبحث في آليات الخطاب الديني اما الحور

الخامس والأخير فسيبحث في الرؤية التربوية لتطوير الخطاب الديني في عصر العولمة هذا فضلا عن المقدمة والخاتمة وبعض التوصيات التي خرجت بها الدراسة .

مشكلة البحث / يمر العالم اليوم والاسلامي منه بالعديد من القضايا الجديدة التي تحتاج إلى بلورة خطاب ديني جديد يعي مقتضياتها وانعكاساتها ودورها في الواقع ، لأن لكل عصر ميزاته وإشكالياته وحلوله أيضا، ومتلقيه المتسمون بطابع التغير تبعا لتغيرات العصر، ولا يصح علميا وعمليا استدعاء الحلول الماضية الجاهزة لمعالجة المستجدات الحاضرة من غير إعمال الفكر وتوجيهه بهدف محاولة إصلاحه وجعله يواكب مستجدات الحاضر وضروراته، إذ أحيطت الإشكاليات المعاصرة بهالة من التنوع والتعقيد، التي لا يصلح معها استعارة جاهزيات الآخرين مع وجود إمكانيات الانتفاع من تلك الحلول على سبيل الاستئناس والمعرفة بالشيء ، فضلا عن ذلك ان التوظيف السياسي والايديولوجي للنص الديني من لدن هذه الجهة او تلك افرز فكر ديني متحجر يركب ناصية التكفير في مقارعة الخصم لخصمه .

هدف البحث / يهدف البحث الى :

■ دراسة مضمون الخطاب الديني العربي وتحليله ومن ثم طرح مبررات الدعوة الى تجديده والوقوف على اهم الطروحات المتبناة لتصحيح وتجديد هذا الخطاب بما يتلاءم ومتطلبات المرحلة الحالية.

■ التأكيد على ضرورة صياغة خطاب ديني يتماشى وطبيعة الوسيلة المتبناة، جريدة كانت أم محطة إذاعية أم قناة فضائية أم موقعا على الشبكات الرقمية او غيرها ، وإعادة صياغة حتى ذاك الخطاب المقدم بالمساجد، بحكم الخاصيات الجديدة لمرتاديها والطبيعة المتجددة للحاجة إلى الدين وتوجهات التدين، الفردي منه والجماعي

■ التأكيد على ضرورة صياغة خطاب ديني يثمن الثابت المشترك، ويتجاوز على المختلف بشأنه، ويحاصر منابع الخطاب المتشدد، المرتكز على التأويل الجاف لمنطوق الدين والقراءة المتزمتة لروح الدين.

اولا / مفهوم الخطاب الديني :لا شك في أن المصدر الأول في الخطاب الديني الإسلامي هو القرآن الكريم، فهل معنى ذلك أن القرآن الكريم من ضمن الخطابات التي نسعى إلى تجديدها؟. بالطبع كلا، لان الخطاب الديني يقسم إلى قسمين:

– القسم الأول: الخطاب المنصوص. وهو كلام الله (القرآن).

– أما القسم الثاني: الخطاب غير المنصوص وهو كلام الفقيه والعالم والخطيب، وإذا كان الأول مما لا سبيل لتجديده وتغييره، فأن الثاني لا مانع من تجديده لأنه قابل للتغيير وتجديد الصياغة ، ومع قدسية الأول إلا أن البحث فيه بخلاف السائد ليس ممنوعاً بشرط أن لا تكون على سبيل الأهواء والنفس الطائفي، وبالإجمال فإن الخطاب الديني يسعى إلى تحويل الاجتهادات والتأويلات العقلية إلى نصوص مقدسة لا يمكن المساس بها أو التقرب إليها، وكأن باب الاجتهاد قد فتح للسابقين من غير اللاحقين، وهل من المعقول أن تكون تلك الاجتهادات التي مر عليها قرون عديدة تكون كفيلة بالتصدي إلى هموم وإشكاليات الواقع المعاش؛ في حين إن لكل عصر اجتهاداته ولكل جيل إبداعاته.

يقصد بالخطاب الديني هو الرسالة الدعوية الدينية البشرية التي يوجهها المسلمون باسم دينهم الى مختلف فئات البشر مسلمون وغير مسلمين وهو اما ان يعالج موضوعات وقضايا دينية او غير الدينية مع تناولها من منظور ديني مستندا في منطلقاته الى المرجعية الدينية الاسلامية، التي اساسها القران والسنة النبوية المطهرة، وقد يكون صادرا عن فرد او مجموعة افراد او مؤسسة عامة او دينية متخصصة من مؤسسات الدعوة الدينية، وذلك بهدف القيام بمهمة الدعوة الاسمية بمختلف وظائفها والتي تتدرج من مجرد التعريف بالإسلام ، مرورا بالإقناع بعظمته وانتهاءاً بالدعوة لاعتناقه مستخدما في ذلك كافة الوسائل الممكنة والمتاحة والتي تتفق مع مبادئ الشريعة الاسلامية[١].

[١] محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، القاهرة، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤، ص٢٧٣ .

ويرى باحث آخر ان الخطاب الدين هو مجموعة من الطرق والقواعد الخاصة بكل عنصر من عناصر عملية الاتصال الدعوي لضمان تحقيق الدعوة لأهدافها بما يساعد على الوصول الى الحق وتحقيق الفهم السليم للإسلام ومواجهة التحديات التي تواجه الامة الإسلامية ، او هي الآراء والافكار والاجتهادات والتفسيرات التي يصوغها البشر حول دينهم ونتيجة اتفاقهم واختلافهم في كيفية فهمهم نصوصه المقدسة ، ومن ثم استنباطهم الآراء والاحكام ما ينتسب الى عقولهم القابلة – بحكم بشريتها – للإصابة او الخطأ، والكمال النسبي او النقصان هو الذي يدفع الى محاولة الاجتهاد والاستنباط[٢].

ونحن نميل للاعتقاد بان الخطاب الديني هو كل نطق او كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم او الكاتب الذي قد يكون فرد او مجموعة او مؤسسة عامة او دينية متخصصة لإيصال الأفكار الى الاخرين بهدف التعريف بالقيم والمبادئ الدينية مستخدما في ذلك كافة الوسائل الممكنة والمتاحة التي تتفق مع مبادئ الشريعة الاسلامية.

وتعدد وسائل الخطاب الديني الاعلامي المعاصر في المجتمع الذي ينتمي اليه ، حتى لتشمل كل وسائل الاعلام المعروفة ، ومنها الخطاب الذي يتصل بالعبادات والشعائر الدينية الرامية لأخبار الجمهور العريض بقضاياه الدينية ومحاولة تثقيفه فقهيا[٣]. ولكن نلاحظ أحيانا ان هناك قصور في إيصال المعلومة الدينية في مخاطبة الناس او ايصالها بطريقة لا تقنع المتلقي بمضمونها، ويتمثل قصور الاعلام الديني في انواع ثلاثة[٤]:

١- قصور كمي: وهو يتمثل في قلة مساحة الاعلام الديني على خارطة الاعلام العام

٢- قصور نوعي: ويتمثل في قلة اساليب المعالجة الاعلامية للمحتوى الديني ككل.

---

[٢] انظر كمال أبو المجد ، الخطاب الديني وصلته بالواقع المعاش، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٣ ،ص ١٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص٢٧٣

[٤] محمد يوسف هاجر، العرقة بالآخر: الاقليات الاسلامية في الدول غير الاسلامية ، القاهرة، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ٢٠٠٣، ص٤٠٠

٣- قصور تأثيري: وهو القصور الناتج عن وجود الفقرات الدينية بين فقرة واخرى تفوقها في المساحة والقدرة على الجذب والتأثير.

ويقصد بالديني هنا ما كان متعلقاً بواقع الثقافة الإسلامية حصراً من غير باقي الديانات وبالتالي فهو مجموعة الأفكار والتصورات المنظمة والمرتبطة منطقياً والمتعلقة بتحليل الواقع الإسلامي، وتحديد طرق معالجته والتأثير فيه، والخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته، لان الخطاب – أي خطاب– ليس أثراً مباشراً فورياً للسياق المنتج له، بقدر ما هو تواصلاً مع خطاب اسبق يستمد منه مرجعيته، ومن خلاله يكتسب مشروعيته ، لأنه عبارة عن منظومة من الأفكار المبنية على تصورات تشكلت عبر تراكم معرفي نابع من الواقع بكل مكوناته العقدية والثقافية والاجتماعية، المرتبطة بالعمق الحضاري للمجتمع، والتطور الفكري والوعي بمتطلبات المجتمع نحو الإصلاح والتغيير والبناء التنموي، والمقصود بالخطاب الديني ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتمون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشريعة، سواءا كان ذلك عن طريق الخطب أم المحاضرات أم التأليف أم البرامج الإعلامية الأخرى، فهو التوجه بالكلام المسموع، والمرئي، والمقروء[٥].

ثانيا / اشكالية تنوع الخصائص الدينية والثقافية لجمهور الخطاب

ان الخطاب الديني الموجه الذي يسعى لتحقيق اهدافه المنشودة ، تواجهه العديد من الاشكاليات والتي تزيد من صعوبة عملية صياغة مضمون هذا الخطاب، اذ ان اشكالية تنوع الخصائص الدينية والثقافية لجمهور الخطاب لا بد ان يستهدف بالأساس ثلاث فئات رئيسة من الجمهور .

[٥] محي الدين عبد الحليم، الدعوة الاسلامية والاعلام الدولي، القاهرة ، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠، ص١٥٢

اولا: الجمهور الاجنبي غير المسلم الذي لا يتحدث ويعيش خارج حدود العالم الاسلامي:

أ- اصحاب الاديان السماوية غير الاسلام:

هؤلاء هم اتباع الديانات المسيحية واليهودية ، ومقاومة تلك الجماعات لتقبل الخطاب الديني الاسلامي تكون اشد ضراوة ، ويقتضي الامر من القائم بالاتصال دراية تامة بما يتعلق بالأديان السماوية والقدرة على العرض والمقارنة بين المبادئ الاسلامية من ناحية وبين مبادئ المسيحية واليهودية من ناحية اخرى[٦].

ويعد اهل الكتاب من اصعب فئات الجمهور التي تحتاج الى جهود شديدة وطويلة المدى لتغيير اتجاهاتها ويمكن تقسيم هذا القطاع من الجمهور المستقبل للرسالة الاسلامية الى نوعيات مختلفة:

- اهل الكتاب الذين ليس لديهم معلومات عن الدين الاسلامي.
- اهل الكتاب الذين لديهم معلومات ناقصة عن الدين الاسلامي.
- اهل الكتاب الذين لديهم معلومات غير كافية عن الاسلام.
- اهل الكتاب الذين لديهم معلومات خاطئة عن الاسلام.

ب- الذين لم تبلغهم الدعوة : فهناك الملايين من البشر الذين لم تبلغهم الدعوة الاسلامية ويمكن جذبهم الى الدين الاسلامي عن طريق الدخول في اوساطهم ومعايشتهم وعرض الإسلام عليهم عن طريق الكلمة الطيبة والقدوة الحسنة[٧].

ونشير هنا الى صعوبة مخاطبة هذا الجمهور نظرا لوجود اختلافات كثيرة جدا في خصائصه ، وبخاصة فيما يتعلق بعنصري الدين والثقافة ، وهي من اهم العناصر التي يمكن ان تؤثر في عملية الاتصال ،اذ يجب ان يراعي الخطاب الديني اختلاف الأطر المرجعية الدينية والثقافية للجمهور المستهدف منه ، فالدين والثقافة من اهم العناصر

---

[٦] المصدر نفسه، ص١٥٣

[٧] محمد منير حجاب، المصدر السابق، ص٢٧٥ .

التي تشكل اسلوب تفكير الافراد ورؤيتهم للعالم من حولهم ، ويمكن ان ندرك ذلك بصورة اكبر عن طريق :

١ – الاهمية المطلقة للدين في حياة الافراد نظراً لطبيعته المقدسة: تزداد خطورة المهمة المطلوبة من الخطاب الديني عندما يتعرض للجوانب الخاصة بمعتقدات الاخر والتي تعد من الامور الحساسة التي يجب التعامل معها بحذر شديد.

٢ – الدور المحوري الذي يمكن ان يلعبه مكون الدين في تشكيل صورة معتنقيه عن العالم من حولهم: اذ اكد (أميرسون **Emerson**) على الدور الذي يمثله الدين في بناء رؤية الفرد للعالم من حوله ، من خلال تحديده لمعايير الصواب والخطأ وتشكيله لأسلوب تفكير الفرد وهكذا تختلف الرسالة الاعلامية[٨]

٣ – اهمية الثقافة في حياة الافراد: اذ ترى جوليا ت وود (**Julia T wood**) ان الثقافة التي ننشأ في ظلها وفي كنفها تشكل اسلوب تفكيرنا وسلوكنا واسلوب اتصالنا بالأخرين ورؤيتنا للعالم ولأنفسنا ، كما انها تمدنا ببعض القواعد التي تبنى وفقا لها انماط تفكيرنا وسلوكياتنا واتصالنا ومشاعرنا وحياتنا بصفة عامة، وتوفر لنا الثقافة الارضية التي نستند اليها في تشكيل هويتنا الشخصية والجماعية وتيسر لنا الاحساس بالانتماء الى جماعات اجتماعية اكثر اتساعا.

٤ – الترابط الوثيق بين الدين والثقافة:

وهنا تزداد صعوبة المهمة المنوطة بالخطاب الديني في مراعاته للخصائص الدينية والثقافية للجمهور المستهدف في ضوء حقيقة العلاقة الوثيقة التي تربط بين الدين والثقافة ، فتعد الثقافة احدى العناصر التي تنبثق عن الدين فيمكننا الحديث عن الثقافة العرقية والثقافية والدينية، كما تزداد خطورة الاختلافات الثقافية عندما يصاحبها وجهات نظر دينية او ايديولوجية.

---

[٨] سامي الشريف، الرسالة الاعلامية والخطاب الاعلامي ، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات ، ٢٠٠٤ ص٧.

٥- تنوع مجالات التعدد والاختلاف الثقافي بين الشعوب:

ونعني هنا بالتعدد الثقافي كما يقول " باريخ **Parrekh**" ، ان التعددية الثقافية تشير الى واقع الاختلافات الثقافية ، فهي استجابة طبيعية لتلك الاختلافات، وعندما نتحدث عن التعدد والاختلاف والتنوع الثقافي فإننا هنا نتحدث على مستوى الثقافة الوطنية وليس الثقافة العالمية والدولية، ومن ثم يجب على خطابنا الديني الموجه للآخر ان يدعم ويركز اكثر على الثقافات العالمية والجوانب المشتركة بين الثقافات ، كما يجب ايضا مراعاة اختلاف معاني ودلالات بعض الاشياء المشتركة بين الثقافات[٩].

ثانيا: الجمهور الاجنبي المسلم الذي لا يتحدث العربية ويعيش غالبيته خارج حدود الوطن العربي ثالثا: الجمهور العربي المسلم ، الذي يعيش خارج حدود الوطن العربي (المهاجرين العرب) ولا يتحدث العربية.

ومن هنا يجب ان يراعي الخطاب الديني الاطار الذهني والمرجعي للجمهور المخاطب حتى لا يلجأ الى ميكانيكية الدفاع عن النفس والتي تؤدي الى فشل الخطاب في تحقيق اهدافه المنشودة في اقناع المخاطب بوجهة نظره[١٠].

وعالج علماء اللغة العربية والاعلام اسلوب التواصل مع مستويات المتلقين وجعلوا لذلك انساقا من التواصل تربط بين تقييم الخطاب والعناصر التأثيرية التي يصبح بها الخطاب متوافقا مع حال المتلقي ويعتمد ذلك على درجة قبول مضمون الخطاب ، وذلك في اطار موقفه من تلقي الخطاب، وقسموا انماط المتلقين الى[١١]:

١- متلقي منكر لمضمون الخطاب : ويحتاج المرسل في اقناعه الى رسائل قوية مباشرة يعتمد فيها على البراهين والحجج ، ويوظف فيها عناصر بلاغية متعددة.

---

[٩] المصدر نفسه، ص١١.

[١٠] نصر حامد ابو زيد، نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م، ص٤١.

[١١] المصدر نفسه، ص٤٤

٢- متلقي متردد : يحتاج الى جهد اقل من السابق (المنكر) ويقدم اليه المرسل مضامين تزيده ثقة وتعطيه امانا، ويستخدم معه اساليب هادئة ، تعززها بعض الشواهد المثالية والأنساق الاجتماعية التي يستأنس بها.

٣- متلقي خالي الذهن: وهذا النوع يحتاج معلومات منظمة واساليب موجهه لتوعيته والسيطرة عليه ليصبح تابعا لسلطة الخطاب.

٤- متلقي تابع: وهو الذي يخضع لأيديولوجية الخطاب ويقدم اليه الخطاب مضامين جديدة تجدد ولاءه وتقوي صلته بالخطاب ويشعر المرسل بأنه جزء من الخطاب ومحور قضيته ، فيقدم اليه خطابا شموليا يجسد منظومة السلطة والموالين لها.

ويتبين لنا من هذا التقييم لأصناف المخاطبين صعوبة المهمة المنوطة بالخطاب الديني القيام بها ،اذ يقع غالبية المخاطبين من الفئات الثلاث الاولى (المنكر والمتردد وخالي الذهن) والتي تحتاج الى مجهود اكثر في الاقناع ، ولكن تحويل الناس عما ورثوا والفوا يحتاج الى قدر كبير من الحكمة والخبرة بطابع النفوس[١٢].

أن أزمة الخطاب الديني المعاصر هي أزمة فكرية في مضمونها ومنطلقها، فالأمة الإسلامية في سائر شعوبها، وفي مقدمتها الشعب العربي، تعيش أزمة فكرية، تتجلى في شكل غياب ثقافي، وتخلف علمي، وكسوف حضاري، وتتجسد في عجز الخطاب الديني المعاصر عن إيصال الخطاب السليم ومحتواه، قرآناً وسنة وشريعة وأخلاقاً، فضلاً عن ذلك فهي أزمة الافتقار إلى المنهج العلمي في ميدان الدراسات المختلفة ، فمناهج التجديد على سبيل المثال، تجدد المسارات السلوكية للجماعات وتوجه فعاليتها وطاقاتها، وكلما كانت هذه المناهج متقنة ومحكمة انعكس ذلك على تنظيم وحركة الفعاليات، وإن النظرة التقويمية لمناهج تجديد الخطاب الديني تكشف عن وجود أزمة ومشكلات حقيقية في منهج الخطاب ، فلا زال الخطاب الديني المعاصر ينتمي إلى

[١٢] سامي الشريف، المصدر السابق، ص١٢.

الماضي، ولا زال غالبية الوعاظ والدعاة أسرى للخطاب الماضوي والأساليب القديمة في التبليغ[١٣].

ثالثا / ضرورات تجديد الخطاب الديني

هناك العديد من الحقائق والاحداث والاوضاع والمتغيرات التي جعلت عملية المطالبة بتجديد الخطاب الديني ضرورة ملحة في هذا العصر ونوردها بالتالي[١٤] :

١- ان التجديد في الفكر الاسلامي ليس مجرد امر مشروع وجائز ومقبول وانما ضرورة وقانون من غير التجديد الدائم والمستمر للفكر والفقه الديني تحدث فجوة بين الشريعة الاسلامية وبين مقتضيات الواقع المتغير والمتطور دائما وابدا .

٢- ان الخطاب الديني اقدر على تغيير الاتجاهات وتعديل السلوك واثراء الحياة اكثر من الخطاب التعليمي والاعلامي.

٣- ان عملية تجديد الخطاب الديني تعد عملية مستمرة وليست وقتية ، فالحياة متجددة باستمرار ومن الطبيعي ان يكون الخطاب الديني مواكب للظروف في كل عصر وما يدور فيه من متغيرات .

٤- السبب الاكثر اهمية بين الاسباب التي تزيد من اهمية تجديد الخطاب الديني في هذا العصر يكمن في كثرة السلبيات التي يتصف بها هذا الخطاب وجوانب الضعف فيه والناتج عن تأثر الخطاب الديني بحالة التخلف التي يعيشها المجتمع .

٥- أن هذا الخطاب لم يعد يواكب– أو لا يواكب بما فيه الكفاية – ما حملته وسائل الإعلام الجديدة من مزايا كبرى، لم تكن مباحة أو متاحة في زمن الندرة التكنولوجية، حيث كانت "الرسالة" محصورة في المساجد، أو في الحلقات النقاشية الضيقة، أو من

---

[١٣] محمد يوسف هاجر، المصدر السابق، ص ٣٣١.

[١٤] محمد الفاضل اللافي، الخطاب الديني الاسلامي ، المبادئ والنظرية والتجديد، المنصورة، دار الكلمة للتوزيع والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧، ص٦.

بين ظهراني بعض النوادي النخبوية المغلقة، فكان أثرها محدودا ومفعولها غير ذي وقع كبير بالنفوس والعقول المنطلقة من مجريات الواقع الحالي .

أن هناك العديد من المفاهيم التي تقترب من معنى التجديد على أساس أن مصطلح التجديد لم يكن رائجاً بحرفيته فهنالك مرادفات أخرى استخدمت للإشارة إلى معناه، مثل: "الإصلاح"، و"الإحياء"، وربما أن هذه المفاهيم لا تعطي المعنى الذي نريده للتجديد، على أساس أنها لا تقوم إلاّ على المعالجة الداخلية، من غير التطلع إلى ما دونها، إذ أن للتجديد مسارين، الأول يهدف إلى كيفية المحافظة على الهوية الإسلامية – العربية – ويريد الاكتفاء ذاتياً بتراثه الذي راح يفخر به إلى درجة تناسيه الحضارة الأخرى التي لا يمكن التخلي عنها لبلوغ التطور لذلك كان يطلق عليه بـــ "الإحياء السلفي"، أما الثاني فهمه اللحاق بالغرب والافتداء بأنموذجه في التقدم العلمي والتقني والتنظيمي[١٥] ، فكان التجديد عملية شاق تحفها مخاطر محاكمة الواقع ودراسة مشكلاته بغية تقويمها كما تحدق بها التبعات المترتبة على نقد الأنساق الثقافية والفكرية لإعادة صياغة بنية الفرد المعرفية وفقاً لمتطلبات الحاضر وضرورات المستقبل، إذاً فالتجديد بمثابة رونق الحياة الذي يحمل على عاتقه الانتقال من بوتقة الماضي إلى بحبوحة المستقبل، فهو عملية عقلية مستمرة يتواصل من خلالها اليوم والأمس وتتقاطع معها جملة الخيارات الفكرية والاستراتيجية المطروحة في حوارات دائمة وحركة دؤوبة تتجه إلى اختيار الأنسب والأصلح من هذه الخيارات[١٦].

رابعا / آليات الخطاب الديني

لقد ذكرنا سابقاً ان الخطاب الديني هو الخطاب الذي يعتمد مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته؛ لان الخطاب –أي خطاب– ليس أثراً مباشراً فورياً للسياق

[١٥] السيد محمد الشاهد، الخطاب الاسلامي والعلاقة بالآخر ، القاهرة، المجلس الاعلى للشؤون الاســـلامية ، ٢٠٠٣، ص١٤٣.

[١٦] المصدر نفسه، ص ١٤٤.

المنتج له بقدر ما هو تواصل مع خطاب اسبق يستمد منه مرجعيته وعن طريقه يكتسب مشروعيته. لأنه عبارة عن منظومة من الأفكار المبنية على تصورات تشكلت عبر تراكم معرفي نابع من الواقع بكل مكوناته العقدية والثقافية والاجتماعية المرتبطة بالعمق الحضاري للمجتمع والتطور الفكري والوعي بمتطلبات المجتمع نحو الإصلاح والتغيير والبناء التنموي. ومن هنا كان الخطاب الديني المعاصر خطاباً يستند وقبل كل شيء على نظام استرجاعي ترديدي وبالتالي كان بمثابة صدى لصوت الخطاب الديني القديم حيث لم ينجح من التحرر منه لكونه لم ينج بالأصل من التحرر من سلطة النص ، لذلك لا بد من التحرر – لا من سلطة النصوص وحدها– بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا" ، وذلك من أجل ملامسة الحقيقة الحقّة لأن "النصوص والخطابات تمارس سلطتها على القرّاء بصرف النظر عن مهامه المعرفية والتنويرية" ، ومن ثم فإن الخطورة التي نخشاها للقول بسلطة النصوص تكمن في تحول النصوص إلى سلطة مطلقة ومرجعية شاملة بفعل الفكر الديني تعمل على تضاءل سلطة العقل وفي تضاؤل سلطة العقل يكمن التخلف الذي نعانيه على جميع المستويات والصعد[١٧].

من هنا جاءت دعوة التحرر، ولكن ليس من النصوص كما أشرنا "وإنما من سلطة النصوص النابعة من شموليتها، وفضلا عن ذلك "فإن الدعوة للتحرر من سلطة النصوص ومن مرجعيتها الشاملة ليست إلا دعوة لإطلاق العقل الإنساني حراً يتجادل مع الطبيعة في مجال العلوم الطبيعية ويتجادل مع الواقع الاجتماعي والإنساني في مجال العلوم الإنسانية والفنون والآداب، وبالتالي كانت هذه الدعوة للتحرر لا تقوم على إلغاء الدين ولا تعمل على إلغاء نصوصه لكنها تقوم على أساس فهم النصوص الدينية فهماً علمياً[١٨]، وكل ذلك أدى إلى استفحال سلطة الخطاب الديني والمؤسس الأول والرئيسي لسلطة النصوص هو تقديس العمل البشري والذي يعمل على "تحويل اللا

---

[١٧] طه أحمد الزيدي، مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي ومهاراته، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠١٦م، ص٨١.

[١٨] المصدر نفسه ، ص٨١

نص إلى مجال النص وتدشينه نصاً لا يقل في قوته التشريعية وطاقته الدلالية عن النص الأساسي الأول[١٩] .

ان آليات الخطاب الديني تستند إلى مبدأين رئيسيين:

المبدأ الأول: التوحيد بين الفكر والدين.

من المساوئ الرئيسية والأساسية للخطاب الديني بحلته المعاصرة، إيمانه بتوحيد التعامل مع الفكر والدين وهذا راجع إلى عدم التمييز بين مصدريهما، فالمعروف أن للدين وحي إلهي محدد الأركان ثابت الحدود والمعالم بينما يعتبر الفكر اجتهاد بشري محض يحتمل الخطأ والصواب له حقيقته ومنطلقاته وأدواته ووسائله. وكثيراً ما يكون مثل هذا الخلط ناتجاً عن قصور المنهج الفكري لأن الفكر لا يعمل عمله المرجو منه ولا يؤدي دوره الكامل إلا إذا رافقه منهج سليم وواضح يسير عليه ويقتفي أثره.

وبالرغم من ذلك يمضي الخطاب الديني في مد فعالية النصوص الدينية إلى كل المجالات ولا يكتفي الخطاب الديني بذلك بل يوحد بطريقة آلية بين هذه النصوص وبين قراءته وفهمه لها، وبهذا التوحيد لا يقوم الخطاب الديني بإلغاء المسافة المعرفية بين الذات والموضوع فقط بل يتجاوز ذلك إلى ادعاء قدرته على تجاوز كل الشروط والعوائق الوجودية والمعرفية والوصول إلى القصد الإلهي الكامن في هذه "النصوص"، وبالتالي يصرُّ على مسلكه ويصف فكره وفهمه أو تفسيره للإسلام على أنه الإسلام كما يجب أن يكون، اذ إن الخطاب الديني لا يطرح أفكاره تلك بوصفها اجتهادات وإنما يجزم أن أطروحاته هي الإسلام، لذلك نراه يقوم بتثبيت وترسيخ هذه الأطروحات في الوسط الاجتماعي لكونه الأكثر ملامسة والتصاقاً بالنص المقدس وكأنما يقول به يصدر عن مفترضات لا تقبل الجدل أو المناقشة وهو ما يعني الاقتناع بامتلاك الحقيقة من غيرها في

[١٩] نصر حامد ابو زيد، المصدر السابق، ص٤٦.

هذا الخطاب. ونتيجة لهذا الاحتكار[٢٠]، ينتهي ممثلو الخطاب الديني وبإصرار على أنه "ليس هناك إسلام تقدمي وآخر رجعي وليس هناك إسلام ثوري وآخر استسلامي وليس هناك إسلام سياسي وآخر اجتماعي أو إسلام للسلاطين وآخر للجماهير، هناك إسلام واحد كتاب واحد أنزله الله على رسوله وبلغه رسوله إلى الناس، وهذا قولٌ مبطن يهدف أولاً إلى القول بوجود فهم واحد للإسلام وبالتالي يعمد إلى تكفير الاجتهادات الأخرى في الإسلام رغم تعددها على مدى التاريخ الإسلامي، تلك الاتجاهات التي نشأت استنادا لأسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية واعتنقت مذاهب متباينة أحياناً[٢١].

كانت إشكالية التوحيد بين الفكر والدين بمثابة محاولة تهدف إلى تضييق دائرة الحقيقة وامتلاكها لصالح أقطاب الخطاب الديني دون غيرهم وإعطائهم المشروعية لفعل أيّ شيء يحلو لهم، وحين يزعم الخطاب الديني امتلاكه وحده للحقيقة لا يقبل من الخلاف في الرأي إلا ما كان في الجزئيات والتفاصيل وهنا يبدو تسامحه واتساع صدره واضحاً ومثيراً للإعجاب ، وبالتالي أصبحت هذه القضية تمثل إحدى أهم التحديات التي تواجهها مجتمعاتنا العربية وترتكز على الاستخدام النفعي والأيديولوجي للإسلام والتي تهدف إلى تحقيق مصالح وغايات ذات طبيعة فئوية أو سياسية أو شخصيه، من خلال مزجهم بين قراءاتهم الخاصة للنصوص الدينية وفهمهم لها والحقيقة المفترضة للنص نفسه لينتهي هذا الخطاب من خلال هذه الآلية إلى جعل حواره في كل أمر حواراً عقدياً أو فقهياً في أحسن الأحوال[٢٢].

---

[٢٠] محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس، تقديم: الشيماء الدمرداش العقالي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص٨٧.

[٢١] طه أحمد الزيدي، المصدر السابق، ص٨٥.

[٢٢] محمد اقبال ،، المصدر السابق، ص٨٧.

المبدأ الثاني: رد الظواهر إلى مبدأ واحد

إن الخطاب الديني في توظيفه لهذه الآلية يعتمد وقبل كل شيء على ذلك الشعور الديني العادي فيوظفها على أساس أنها إحدى مسلّمات العقيدة التي لا تناقش لأنها تقوم على إرجاع الظواهر كلها إلى الله، وإن هذا المنطق الواضح والمباشر يبدو في نظر الإنسان العادي أمراً يستحيل الاعتراض عليه لأن قدرته الإقناعية أعظم من قدرة أشد البديهيات الرياضية وضوحاً، وما يزيد من قدرة هذا المنطق على الإقناع حالة التردي والتأزم التي يعيشها الناس، "فكلما أحكمت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قبضتها على رقابهم ازدادوا استعداداً لقبول الحجة التي تخاطبهم بكل ثقة، فتقول: أرأيتم إلى أين يؤدي بكم البشر؟ إن كل مصائبكم ترجع إلى ابتعادكم عن طريق الله"، ومن هنا يبدأ تهميش الدور البشري في قدرته على تفادي الأزمات[٢٣].

إن هذه الآلية تحول دون تطور العقل البشري وتقوم بعزل الإنسان عن مشكلات الواقع عن طريق رد مشكلاته إلى مبدأ واحد وهذا المبدأ هو الله تعالى، وهذا يعني نفي أي اثر أو دور للعقل ومصادرة أي معرفة ليس لها أصل في سلطة العلماء أو خطابهم الديني في هذا المجال بوصفهم خلفاء الله في أرضه وبالتالي فإن الخطاب الديني هو الذي يقوم بتفسير كل الظواهر الطبيعية والاجتماعية بردّها جميعاً إلى ذلك المبدأ الأول، وينتج عن هذه الآلية إعفاء الإنسان من البحث عن المستقبل واستبدالها بـ "التواكلية" والإيمان بالمكتوب والمحتوم[٢٤].

للخطاب الديني مجموعة من الآليات يشتغل بها دعاة الخطاب الديني والاعلامي، وقد اجمل الباحثين عدد من الاليات التي يمكن الاستناد عليها في تجديد مضامين الخطاب الديني وهي [٢٥]:

---

[٢٣] ماجد الغرباوي، إشكاليات التجديد، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، دار الهدى، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٥٣.

[٢٤] المصدر نفسه، ص٥٤.

[٢٥] نصر حامد ابو زيد ، مصدر سبق ذكره ،ص ٤٧ .

أ. آلية التوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع.
وتعمل هذه الآلية على الحيلولة دون التمييز بين الدين والمعرفة الدينية، وهكذا يخلط الخطاب الديني بين الدين والمعرفة الدينية حيث يقدسها بدورها كما لو كانت وحيًا منزلًا.
ب. آلية رد الظواهر إلى مبدأ واحد، وهو تفسير الظواهر كلها بردها جميعًا إلى مبدإ أو علة أولى، تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية والطبيعية.
ج- آلية الاعتماد على سلطة "السلف" أو "التراث"، وذلك بعد تحويل النصوص التراثية، وهي نصوص ثانوية، إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل في كثير من الأحوال عن النصوص الأصلية.
د-آلية اليقين الذهني والحسم الفكري "القطعي"، ورفض أي خلاف فكري، إلاّ إذا كان في الفروع والتفاصيل دون الأسس والأصول.
ه- آلية إهدار البعد التاريخي وتجاهله، ويتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل، يستوي في ذلك العصر الذهبي للخلافة الرشيدة، وعصر الخلافة العثمانية. ويتجلى إهدار البعد التاريخي في التطابق بين الماضي والحاضر.
علما ان هذه الاليات معرضة للتغير بحسب مستوى المتلقي والحاجة الفعلية والانية التي تتطلبها والوسيلة الاعلامية التي تتبنى ذلك الخطاب .

خامسا / الرؤيا التربوية لتطوير الخطاب الديني في عصر العولمة

ان تجديد الخطاب الديني، هدفه الأساس هو الاجتهاد، ومحاولة فهم صحيح للدين لمستجدات الفكر والواقع الذى نعيشه بما يحويه من تطور علمي وتقني أصبح يشكل جزءا أصيلا من سلوكنا اليومي، ويفتح آفاقا جديدة للاجتهاد تتجاوز الفقه التقليدي القارئ للظواهر التاريخية، الى فقه يناقش قضايانا الفكرية والحياتية المعاشية[٢٦] .

[٢٦] إسماعيل حسني : علمانية الإسلام والتطرف الديني (نقد إيديولوجية شمولية الإسلام من منظور الشريعة والتاريخ وقيم الحداثة)، دار مصر المحروسة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٧٨.

وتعددية الخطاب لا تعنى تعدد الدين الإسلامي إلى مجموعة أديان، وإنما تعدد الخطابات المعرِّفة به تعددية نابعة من طريقة العرض، وترتيب أولويات كل خطاب وفق دواعي يمليها النظام السياسي بشكل مباشر أو غير المباشر، ومن ناحية ثانية طبيعة النصوص، فمتى كان النص احتمالي الدلالة، أو احتمالي الثبوت فإنه ينتج اختلافا مشروعا يصبح فيه كل رأي جزءًا من خطاب لا يحق له أن ينفي الخطاب الآخر، أو يدعى لنفسه الامتلاك المطلق للحقيقة[٢٧].

إن قبولنا بالتعددية في خطابنا الديني تخرجنا من حالة المساجلة والمغالبة والإقصاء المستمرة مع خطابات أخرى حاضرة فينا وإن زعمنا غيابها أو تغييبها بما يستترف طاقاتنا ويضعف من محاولة التعايش بيننا، كما أن مثل تلك الأحادية الإقصائية تؤسس لخطاب التطرف القائم على نبذ الحوار وتبنى العنف، وجعل الأفكار الإنسانية لها قداسة العقائد، فعمليات التفجير المتكررة في عالمنا ليست مواد متفجرة سريعة الاشتعال بل خطاب فكرى أحادي اعتقده بعض الشباب دينا مقدسا يستحق الموت من أجله، ولن يخرجنا من ذلك إلا قبول تعددية في الخطاب الديني تثمن الثابت المشترك، وتتجاوز عن المختلف بشأنه، تعددية تنوع تُثرى الفكر، ويتسع به خيارات المسلمين[٢٨].

وترسيخ التعددية في الخطاب الديني تتطلب إيجاد حالة من الوعى العام ، لأن الخطابات الدينية القائمة على الاستدلال النقلي فقط ، أو المنطلقة من العقل في قراءة النقل تتساوى من حيث كونها خطابا، ليس من حق أحدها أن يزعم امتلاك الحقيقة، وإن سيطر أحدها بفعل علاقته بالسلطة السياسية وأمكنه بذلك إقصاء الخطاب الآخر وإخراجه من دائرة الضوء[٢٩].

وتحتاج التعددية من الخطاب الديني الرسمي المعاصر التحوّل من المتحدث الواحد الفوقي في جمهور من المتلقين إلى المحاور الذى يتفاعل مع طرف آخر، يصبح فيه الجمهور

---

[٢٧] المصدر نفسه، ص٧٩.

[٢٨] السيد محمد الشاهد ، المصدر السابق، ص١٤٥.

[٢٩] محمد الفاضل اللافي، المصدر السابق، ص٢٣.

مشاركا، لذا فهو في حاجة إلى تطوير وسائل التواصل، مثل الحلقات الحوارية في المؤسسة الدعوية والتعليمية، ومواقع التواصل الاجتماعي، وتعزيز ثقافة الحوار في مقابل ثقافة الصخب والجلبة؛ ليعزز ثقافة الحوار القائم على العقل والاستدلال العقلي والنقلي والابتعاد عن الخطابات الانفعالية الصارخة؛ فهي تخدم خطاب التطرف الذى يتبنى شعارات تحدث ضجيجا انفعاليا، فتحدث حالة من الغضب تشل العقل وتقتل الفكرة، وتعزز الانقياد، وتقود إلى الهدم، كل هذه المفردات مرتبطة بطبيعة الخطاب الديني الرسمي الذى يمثل بأحاديته منطلقا حقيقا لخطابات التطرف[٣٠].

فالقرآن الكريم لا يعرف صوتا أحاديا، حيث حكى الله عز وجل حوار الشيطان وعلة عصيانه، وحكى في مواضيع كثيرة حوار الأنبياء مع أقوامهم، وكأن القرآن الكريم يريد أن يرسخ في الوجدان المسلم الطبيعة الحوارية للدعوة الإسلامية التي تطلب ثنائية يتبادل فيها الطرفان دور المستمع والمتحدث، وسط حالة من الاستماع الجيد، والحديث المبنى على الحجة والمنطق والدليل على أرضية من التسليم باحتمالية الصواب والخطأ، ونسبية الطرح الإنساني في التعامل مع النصوص فهما وإدراك التوجه العقلي فريضة غائبة[٣١].

من ناحية أخرى يتحمل الخطاب الديني جزءا من المسؤولية عن الإلحاد في مجتمعاتنا ليس بقصوره عن الاستفادة من آليات التواصل مع الشباب على مواقع التواصل وغرف الدردشة وغيرها من وسائل الاتصال المستحدثة فحسب بل بضعف الاستدلال العقلي في خطابه بما يُهدد أن يكون خطرا على البعض ممن لا يستطيعون أن يفصلوا بين الدين والخطاب الديني لهذا الداعية أو تلك الجماعة[٣٢].

---

[٣٠] زهير بيطار، حوارات حول فهم النص وقضايا الفكر الديني المعاصر، تقديم: شفيق جواري، دار الهادي، بيروت، ط١و ٢٠٠٤م، ص ٥٥.

[٣١] إسماعيل حسني ، المصدر السابق، ص٧٩.

[٣٢] المصدر نفسه ، ص٨١.

وتنتظر مجتمعاتنا من الخطاب الديني ، أن يقدم حلولا ومعالجات للمشاكل والتحديات التي تواجهها، وهي مشاكل كبيرة وتحديات خطيرة ، تبدأ من صعوبات التربية في عصر العولمة ، حيث تدنت امكانات تأثير الاسرة على الابناء، لصالح تأثيرات وسائل الاتصال المتطورة ، والاعلام الفضائي المفتوح ، والعولمة تطل علينا اليوم بوجوه مقنعة كالانفتاح، الحرية ، السوق المشتركة ، التبادل العلمي والمعرفي والبورصة العالمية، والقرية الصغيرة[٣٣].

ان واقع الخطاب الديني الذي تباينت اتجاهاته ، وتباينت اهدافه وتضاربت مصالحه، وتعددت خططه ، وتطورت وسائله ، بكل ما افرز من تأثير على الرأي العام ، وتوجيه للشعور والتفكير وتغيير القيم والاخلاق ، صنعت بعض اشكاله جهات تدعو الى التشدد والتطرف العنيف ، او جهات اخرى تدعو الى التحلل والاباحية ، او جهات تدعو الى ابعاد المجتمع عن هويته واصالته ومرجعتيه الفكرية[٣٤]، وادى الى تغلغل الفكر التكفيري في مجالات حياتنا اليومية والوظيفية منها، بحيث يطمح الى صياغة المجتمع بطابع واحد وهو احد اهداف الايديولوجيات الاسلاموية في حراكها السياسي حيث تستهدف بنية المجتمع للوصول الى مكامن القرار السياسي ، ، فيما بعد، وهو احد الاساليب التي يستخدمها التوجه الاسلاموي الحركي في بناء مشروعيته الفكرية والمجتمعية تمهيدا لمشروعيته السياسية، وقد كانت الوسائل التي استخدمتها الخطابات الاسلاموية هي تلك التي لها علاقة مباشرة بالناس ، كالتعليم والاعلام والمساجد والشؤون الاسلامية عامة، ولذلك كان من السهولة الوصول الى عمق المجتمع ككل، لذلك رأينا الكثير من الناس يتبنى خطابا ايديولوجيا يتقاطع كثيرا مع المشكلات السياسية التي تقول بها الحركات الاسلاموية المتطرفة دون ان يقصد التجاوب الحركي مع هذه الخطابات ، وقد يرفض عنف الحركات الاسلاموية و يقبل المنطلقات الاساسية والفكرية لها ، وقد يكون عن حسن نية او جهلا بالأبعاد الحركية لها، الا ان الاشكالية

---

[٣٣] نصر حامد ابو زيد، المصدر السابق، ص٨٩.

[٣٤] زهير بيطار، المصدر السابق، ص٤٧.

تكمن في مسألة المرتكزات الفكرية التي تتقاطع بشكل كبير بين الخطابات الدينية العديدة سواء لدى تلك التي تتبنى الخطاب الحركي ام التي ترفضه[٣٥] ، والارتكاز الفكري بين هذه الايديولوجيات ناتج عن المشترك الاصولي بينها، فكلها تعتمد على رؤى تراثية واحدة ، كما انها تعتمد على تأويلات فكرية للنصوص الدينية جعلت منها قاعدتها الفكرية في قضاياها السياسية وغير السياسية. ولابد من خطوة عملية اولية سابقة على كل الخطوات الاخرى ، والتي تجدد الخطاب الديني، تجديدا فكريا وليس شكليا ، في بعض منطلقاته الفكرية ، إذ لا يمكن ان يكون هناك من تجديد حقيقي من غير التعامل مع الاصل الفكري كونه المرجعية لما يمكن ان يكون من تجديد فقهي ، فتفكيك الاصول الفكرية هو تفكيك للخطاب الديني اجمعه وإعادة بنائه من جديد، وعملية تجديد الخطاب الديني هذه تعزز جانب الامن الفكري لدى المجتمع، كونها قامت على تفكيك الفكر الذي تستند عليه حركات الاسلام السياسية التي تغلغلت في مجتمعنا، إذ كانت مقنعة للكثير من افراد المجتمع فانخرطوا في التنظيمات الاسلامية كونها تقول ما نقول به وتعتمد عليه كمرجعية فكرية[٣٦]، ولذلك يصعب على الكثير من الناس الفصل بين الخطابات، فجميعها ترجع الى رؤية واحدة، وان اختلفت في الشكل ونوعية العمل الفكري او الحركي، لذلك كان لا بد من وجود هذه الخطوة الاولية قبل الشروع في الخطوات الاخرى، لأن العمل الفكري كان ناتجا عن اقناع ديني في غياب الوعي المعرفي لدى الشريحة العريضة من ابناء المجتمع، ولا يكفي العمل هنا على مسألة التجديد الديني من غير الوسائل التي كانت تخدم الفكر المتطرف، كمنابر الجمعة مثلا، فتجديد الخطاب الديني يحتاج مشروعية اكبر في المجتمع ، وكما كان تغلغل الخطابات المتطرفة يجب العمل على بث روح التسامح والتعددية من خلال الخطاب الديني الجديد، فالإصلاح الديني كان سابقا على كل عمليات الاصلاح الاخرى في المجتمعات

[٣٥] محمد سيد احمد المسير، الاسلام ومشروعات النهضة الحديثة ، القاهرة ، نهضة مصر ، ٢٠٠٢، ص٤١.
[٣٦] المصدر نفسه، ص٤١.

التي تتكئ على المعطى الديني في بنائها الفكري ، إضافة الى المنابر التربوية والتعليمية والاعلامية والشؤون الاسلامية[٣٧].

الخاتمة

ان الخطاب الذي نطمح ان يسود في الوسط الديني واعلامه هو الخطاب الذي يبحث في الثابت المشترك بين أبناء المجتمع والمستند الى الوسطية والتسامحية وغلبة القيم الإنسانية على المصالح الضيقة بشتى أنواعها لان هذا النوع من الخطاب هو الكفيل بتجاوز المختلفات بين أبناء المجتمع ويؤسس لرؤية جامعة شاملة لتلك المكونات وفق الثابت الوطني ،وعلينا ان نؤكد ان عملية تجديد الخطاب الديني عملية شاملة تتضمن تجديده على مستوى الوسيلة والقائم بالاتصال ومضمون (الخطاب الرسالة) والجمهور المنتخب من هذا الخطاب وان عملية تجديد هذا الخطاب تبين ان هناك حاجة كبيرة وضرورية لتدريب القائمين على الخطاب الديني على برامج الامن الفكري واهميته في الخطاب الديني والالتفات الى تضمين مقومات الامن الفكري في مناهج المدارس الدينية وغير الدينية ، لان التطرف والتعصب ظاهرة مرضية ، وافضل علاج لها الوقاية الصحيحة ، وهي يجب ان تركز على التعامل العقلاني الذي يستهدف تصحيح الاختلالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، واشاعة الفكر النقدي والمشاركة في كافة المجالات الحياة بدءا بالمؤسسات التربوية والثقافية والاجتماعية.

كذلك يجب الانتباه الى ان سلبيات الخطاب الديني من ناحية التخطيط من اهم ما يشكل ويسجل على طبيعة الخطاب المتداول الان واكثرها خطورة نظرا للأهمية الكبيرة لعملية التخطيط الاعلامي في العمل الاعلامي ، فأي خلل في التخطيط عادة ما ينعكس بشكل سلبي على جوانب العملية الاتصالية من وسيلة وقائم بالاتصال ومضمون كافة.

وان حصر الخطاب الديني في دائرة رد الفعل للعوامل الخارجية يشكل تهديد لنفاذية هذا الخطاب للمتلقين ، فضيق الافق ومحدودية الرؤية والتركيز على اللحظة الحالية وحصر

[٣٧] زهير بيطار، المصدر السابق، ص٦٥.

الاهتمام بها ، من دون التطلع الى المستقبل والعمل على المدى المتوسط والبعيد وهو ما يتجلى في تحرك كثير من انماط الخطاب الديني داخل دائرة ردة الفعل، وعدم اتخاذ المبادرة الا في حالات نادرة عد سببا من أسباب انتشار الأفكار الضالة والمنحرفة التي يروج البعض لها حاليا .

التوصيات

١- ضرورة التركيز على القواسم المشتركة بين الرسالات السماوية في الخطاب الديني والثقافي والتربوي والاعلامي وسن القوانين التي تحرّم التمييز على اساس الدين او اللون او العرق.

٢- على المثقفين والمفكرين ان ينتبهوا الى خطورة المضي في استخدام مصطلح الاقليات الذي يحمل بين طياته معاني التمييز والانفصال بداعي التأكيد على الحقوق.

٣- تنقية المناهج من الفكر الضال الهدام.

٤- ضرورة تشكيل فريق عمل من المختصين بمواقع التواصل الاجتماعي مهمته متابعة الفكر المتشدد على شبكة الانترنت ووسائل الاعلام وغيرها وتقديم ردود علمية صحيحة وبلغة يسيرة يتفاعل معها الشباب.

٥- اهمية محاسبة الجهات التي تتعمد نشر افكار هدامة من خلال استعانتها بغير المختصين

٦- دعوة هيئة الإعلام والاتصالات عبر لائحة السلوك المهني التي تعتمدها والضوابط الاخرى المتبناة لديها بهدف تشخيص حدود الانحراف في الخطاب الديني الذي تقدمه وسائل الاعلام والاتصال المختلفة، لحماية المجتمع من الآثار السلبية فضلا عن الحفاظ على صورة الإسلام والتعريف به وبمبادئه وقيمه السمحاء بالدرجة الأساسية.

٧- تطوير لغة الخطاب الديني وان تكون لغة قادرة على التأثير وعلى نقل جوهر الاسلام بوضوح وبصورة تتوافق ومستويات الجماهير المختلفة.

٨- ابعاد الخطباء والمتصدين للخطاب الإعلامي الديني وغير الديني من الـذين يظهـر لديهم ميل او نفس تحريضي عن اعتلاء منصات او منـابر الخطـب والاعـلام ومحاسبتهم لأضرارهم بمبادئ الوحدة الوطنية التي نسعى جميعا لترسيخها مجتمعيا .

٩- ضرورة اكمال اصدار التشريعات والقوانين التي تجرم أفعال محرضي ومثيري الفتن الدينية والقومية سواء بالخطاب او من خلال السلوك ولا سيما ونحن نمر في مرحلة انتشار واسع لمنظومة الإرهاب بكل صوره وعلى مستوى العالم، الـذي يقتضـي وضع خطط مدروسة متسارعة تتكفل بالمواجه ومنها الخطاب الديني.

الملخص

الخطاب هو الكفيل بتجاوز المختلفات بين أبناء المجتمع ويؤسس لرؤية جامعـة شاملة لتلك المكونات وفق الثابت الوطني ،وعلينا ان نؤكد ان عملية تجديد الخطـاب الديني عملية شاملة تتضمن تجديده على مستوى الوسيلة والقائم بالاتصال ومضـمون (الخطاب الرسالة) والجمهور المنتخب من هذا الخطاب وان عملية تجديد هذا الخطـاب تبين ان هناك حاجة كبيرة وضرورية لتدريب القائمين على الخطاب الديني على بـرامج الامن الفكري واهميته في الخطاب الديني والالتفات الى تضمين مقومات الامن الفكري في مناهج المدارس الدينية وغير الدينية ، لان التطرف والتعصـب ظـاهرة مرضـية ، وافضل علاج لها الوقاية الصحيحة ، وهي يجب ان تركز على التعامل العقلاني الـذي يستهدف تصحيح الاختلالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، واشـاعة الفكـر النقدي والمشاركة في كافة المجالات الحيـاة بـدءا بالمؤسسـات التربويـة والثقافيـة والاجتماعية.

Abstract

The discourse is to overcome the different parts of the society and to establish a comprehensive vision of these components according to the national constant, and we must affirm that the process of renewal of religious discourse is a comprehensive process that includes the renewal at the level of the means, the contact, the content (letter message) and the elected public of this The discourse the process of renewing this discourse shows that there is a great and necessary need to train religious discourse on intellectual security programmes and its importance in religious discourse and to pay attention to the inclusion of intellectual security elements in the curricula of religious and non-religious schools, because extremism and intolerance are a pathological phenomenon, and the best Treatment has the right prevention, and it must focus on rational dealing aimed at correcting economic, political and social imbalances, spreading critical thinking and participating in all spheres of life, starting with educational, cultural and social institutions.